البيان

في دفع التعارض المتوهم بين آيات القرآن

تأليف

الدكتور محمد أبو النور الحديدي

كلية أصول الدين — جامعة الأزهر

١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م

مطبعة الأمانة

٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله الذى هدانا للإيمان وما كنا لنؤمن لولا أن هدانا الله وشرح صدورنا للإسلام وما كنا لنسلم لولا أن شرح الله صدورنا له .

والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين ، وبشيراً ونذيراً للناس أجمعين ، ورضى الله عن آله وصحبه الهداة المهديين الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون ، وعمن نهج نهجهم إلى يوم الدين .

وبعد

فإنه يقع لبعض من يقرأون القرآن الكريم، أو يستمعون إليه توهم أن بين بعض آياته اختلافا وتناقضا ، والحقيقة أنه لا اختلاف ولا تناقض بين آيات الذكر الحكيم ، وعند التأمل والبحث يزول هذا التوهم ، ويتضح أن هذه الآيات متفقة غير مختلفة ، ومنسجمة فى المعنى غير متعارضة ، لأنها كلام العليم الحكيم المنزه عن الهوى والعبث ، قال تعالى « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »[1]

المعنى : أيعرضون عن القرآن ، فلا يتأملون فى معانيه الدقيقة ونظمه

---

(١) سورة النساء ٨٢

العجيب ، ولو كان من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا تناقضا فى معانيه وتباينا فى نظمه .

تناقضا فى معانيه بأن يكون بعض أخباره غير مطابق للواقع ، إذ لا علم بالأمور الغيبية لغيره تعالى ، وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى .

وتباينا فى نظمه ، بأن يكون بعضه فصيحا بليغا ، وبعضه ساقطا ركيكا ولما كان كله على منهاج واحد فى الفصاحة والبلاغة ثبت أنه من عند الله ، لأن هذا لا يقدر عليه إلا الله تعالى .

ولا يؤخذ من تقييد الاختلاف بالكثرة أن فى القرآن اختلافا قليلا فانه لا اختلاف فيه أصلا ، والتقييد بالكثرة للمبالغة فى إثبات الملازمة أى لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً فضلا عن القليل لكنه من عند الله فليس فيه اختلاف لا كثير ولا قليل ، وليس المراد نفى اختلاف الناس فيه ، بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن

وللغزالى فى معنى هذه الآية كلام حاصله :

الاختلاف لفظ مشترك بين معان ، وليس المراد نفى اختلاف الناس فيه ، بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن ، يقال : هذا كلام مختلف أى لا يشبه أوله آخره فى الفصاحة ، إذ هو مختلف ، أو بعضه يدعو إلى الدين ، وبعضه يدعو إلى الدنيا ، أو هو مختلف النظم ، فبعضه على وزن الشعر ، وبعضه منزحف ، وبعضه على أسلوب مخصوص فى الجزالة وبعضه على أسلوب يخالفه .

وكلام الله تعالى منزه عن هذه الاختلافات ، فانه على منهاج واحد

في النظم مناسب أوله آخره ، وعلى مرتبة واحدة فى غاية الفصاحة فليس يشتمل على الغث والسمين ، ومسوق لمعنى واحد ، وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى ، وصرفهم عن الدنيا إلى الدين ، وكلام الآدميين يتطرق إليه هذه الاختلافات ، إذ كلام الشعراء والمترسلين إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف فى منهاج النظم ، ثم اختلاف فى درجات الفصاحة ، بل فى أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث والسمين ، فلا تتساوى رسالتان ولا قصيدتان ، بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة ، وأبيات سخيفة وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة ، لأن الشعراء والفصحاء « فى كل واد يهيمون » فتارة يمدحون الدنيا ، وتارة يذمونها ، وتارة يمدحون الجبن فيسمونه حزما ، وتارة يذمونه ويسمونه ضعفا ، وتارة يمدحون الشجاعة ، ويسمونها صراحة ، وتارة يذمونها ويسمونها تهورا ولا ينفك كلام آدمى ، عن هذه الاختلافات ، لأن منشأ هذه الاختلافات اختلاف الأغراض ، واختلاف الأحوال ، والانسان تختلف أحواله ، فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه ، وتتعذر عليه عند الانقباض ولذلك تختلف أغراضه ، فيميل إلى الشىء مرة ، ويميل عنه أخرى ، فيوجب اختلاف الأحوال والأغراض اختلافا فى كلامه بالضرورة ، فلا تصادف اللسان يتكلم فى ثلاث وعشرين سنة ، وهى مدة نزول القرآن ، فيتكلم على غرض واحد ، وعلى منهج واحد ، ولقد كان رسول الله ﷺ بشرا تختلف أحواله ، فلو كان كلامه ، أو كلام غيره من البشر لوجد فيه اختلاف كثير ، فأما اختلاف الناس فهو تباين فى آراء الناس لا فى نفس القرآن .

وكيف يكون هذا المراد وقد قال تعالى « يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا »[١]

فقد ذكر فى القرآن أنه فى نفسه غير مختلف ، وهو مع هذا سبب لاختلاف الخلق فى الضلال والهدى ، فلو لم يختلف فيه لكانت أمثال هذه الآيات خلفا ، وهى أشد أنواع الاختلاف .[٢]

وقال الكرمانى عند هذه الآية :

الاختلاف على وجهين : اختلاف تناقض ، وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر ، وهذا هو الممتنع على القرآن .

واختلاف تلازم : وهو ما يوافق الجانبين ، كاختلاف وجوه القراءة واختلاف مقادير السور والآيات ، واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ والأمر والنهى ، والوعد والوعيد[٣]

ثم إن كفار قريش ، وقد جاءهم نبينا ﷺ بالإسلام وتحداهم بالقرآن كانوا حريصين أشد الحرص على الطعن فى القرآن ، والغمز فيه إبطالا لرسالة الرسول ﷺ ، وتشويها لدينه ، فلو وجدوا فيه تناقضا وبين آياته اختلافا لتعلقوا به ، وأشاعوا فى الناس قصداً إلى الظهور عليه ﷺ ، وإبطال أمره ، ولكنهم لم يفعلوا فدل ذلك على سلامته من التناقض ، وبراءته من الاختلاف فى ذاته .

قال الخطابى : سمعت ابن أبى هريرة يحكى عن أبى العباس بن سريج

---

(١) سورة البقرة ٢٦

(٢) البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ج ٢ ص ٤٦ — ٤٨

(٣) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ٢ ص ٣١

قوله : إعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهرانى قوم ، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا ، وعليه مطعنا ، فلو كان فيه عندهم مناقضة لتعلقوا به ، وأسرعوا بالرد عليه[1] .

لا تتعارض نصوص الكتاب والسنة من كل وجه إلا فيما فيه نسخ

لا يتعارض نصان فى القرآن الكريم والسنة المطهرة من كل وجه وإذا وجد ما ظاهره التعارض فانه يتبين عند التأمل فيه والتدبر أن لأحد النصين وجها لا يتعارض مع النص الآخر .

أما أن يتعارض النصان فى القرآن الكريم أو فى السنة من كل وجه فلا إلا فيما فيه نسخ .

قال الصيرفى : جماع الاختلاف والتناقض أن كل كلام صح أن يضاف بعض ما وقع الإسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض وإنما التناقض فى اللفظ ما ضاده من كل جهة ولا يوجد فى الكتاب والسنة شىء من ذلك أبدا وإنما يوجد فيه النسخ فى وقتين .[2]

وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني :

إذا تعارض الآى وتعذر فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ وترك المتقدم منهما بالمتأخر ويكون ذلك نسخا له ، وإن لم يوجد التاريخ وكان الإجماع على استعمال إحدى الآيتين علم باجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها .

---

(١) البرهان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ٤٦

(٢) الاتقان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ٣٠

قال : ولا يوجد فى القرآن آيتان متعارضتان تعريان عن هذين الوضعين [١]

ومن أجل بيان أنه لا تعارض فى القرآن قام بعض العلماء بالتوفيق بين النصوص التى توهم بينها التعارض ومنهم فى الصدر الأول ابن عباس رضى الله عنهما .

قال عبد الرزاق فى تفسيره : أنبأنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال :

جاء رجل إلى ابن عباس فقال : رأيت أشياء تختلف على القرآن فقال ابن عباس : ما هو . أشك ؟ قال : ليس بشك ولكنه اختلاف قال هات ما اختلف عليك من ذلك. قال: اسمع الله يقول « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » وقال « ولا يكتمون الله حديثا » فقد كتموا وأسمعه يقول : « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » ثم قال « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون »

وقال : « أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين » حتى بلغ « طائعين » ثم قال فى الآية الأخرى « أم السماء بناها » ثم قال : « والأرض بعد ذلك دحاها »

وأسمعه يقول « وكان الله » ما شأنه يقول « وكان الله » ؟

فقال ابن عباس : أما قوله « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » فانهم لما رأوا يوم القيامة وأن الله يغفر لأهل الاسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركا، ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره جحده

(١) البرهان جـ ٢ ص ٤٨

المشركون رجاء أن يغفر لهم فقالوا «والله ربنا ما كنا مشركين» فختم الله على أفواههم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » فعند ذلك « يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا » .

وأما قوله « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » فإنه إذا نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .

وأما قوله « خلق الأرض فى يومين » فان الأرض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانا ، فسواهن سبع سموات فى يومين بعد خلق الأرض وأما قوله «والأرض بعد ذلك دحاها» يقول : جعل فيها جبلا ، وجعل فيها نهراً وجعل فيها شجراً ، وجعل فيها بحورا .

وأما قوله « كان الله » فإن الله كان ولم يزل كذلك ، وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير لم يزل كذلك ، فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ماذكرت لك ، وإن الله لم ينزل شيئا إلا وقد أصاب به الذى أراد ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

أخرجه الحاكم فى المستدرك ، وصححه ، وأصله فى الصحيح [1]

---

(١) قال ابن حجر : حاصل مافيه السؤال عن أربعة مواضع : الأول نفى المسألة يوم القيامة وإثباتها ، الثانى : كتمان المشركين حالهم وإنشاؤه ، الثالث : خلق الأرض أو السماء أيها تقدم ، الرابع : الاتيان بحرف كان الدالة على المضى مع أن الصفة لازمة . ←

وذكرَ : أن الحسن البصرى قد وفق بين قوله تعالى « وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة »(١)

وقوله « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة »(٢)

بأن قال : ليس المراد فى آية الأعراف على ظاهره من أن الوعد كان ثلاثين ليلة ، ثم بعد ذلك وعده بعشر ، لكنه وعده أربعين ليلة جميعا(٣)

وذكر الخطابى : أنه سمع ابن أبى هريرة يحكى عن أبى العباس بن سريج

وحاصل جواب ابن عباس عن الأول أن نفى المسألة فيما قبل النفخة الثانية واثباتها فيما بعد ذلك ، وعن الثانى : أنهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم وعن الثالث : أنه بدأ خلق الأرض فى يومين غير مدحوه ثم خلق السموات فسواهن فى يومين ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، وجعل فيها الرواسى وغيرها فى يومين فتلك أربعة أيام للارض ، وعن الرابع بأن كان وإن كانت للماضى لكنها لا تستلزم الانقطاع ، بل المراد أنه لم يزل كذلك ، الاتقان جـ٢ ص ٢٧ .

(١) سورة البقرة الآية ٥١ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٢ .

(٣) فى التوفيق بين الآيتين قول آخر هو : أنه تجرى آية الأعراف على ظاهرها من أن الوعد كان ثلاثين ، ثم أتم بالعشر ، فاستقرت الأربعون ثم أخبر فى آية البقرة بما استقر . البرهان جـ٢ ص ٤٥ .

أنه قال : سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى «لا أقسم بهذا البلد»[١] فأخبر أنه لا يقسم بهذا ، ثم أقسم به فى قوله « وهذا البلد الأمين »[٢] فقال : أيهما أحب إليك ؟ أجيبك ثم أفظعك ، أو أفظعك ثم أجيبك ؟ فقال : بل أفظعنى ، ثم أجبنى ، فقال له : إن العرب قد تدخل « لا » فى أثناء كلامها ، وتلغى معناها ، وأنشد فيه أبياتا[٣] .

وقد تناول هذا الموضوع (التوفيق بين الآيات التى يتوهم تعارضها) بالتأليف بعض العلماء على اختلاف بينهم فى كيفية التوفيق فى الآيات المتوهم تعارضها ، واتفاق فى كثير منها .

والذين ألفوا فيه . منهم من جعله نوعا من علوم القرآن نتناوله مع غيره من موضوعات علوم القرآن ، ومنهم من أفرده بالتأليف .

من هؤلاء العلماء الذين تناولوه بالتأليف : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى القرن الثالث الهجرى ، وله فى ذلك مؤلف أسماه : تأويل مشكل القرآن : كما أن له « تأويل مشكل الحديث » وقد طبع باسم « تأويل مختلف الحديث » ومنهم الأمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى فى القرن الثامن الهجرى وقد تناوله فى كتابه « البرهان فى علوم القرآن » ضمن موضوعات أخرى من علوم القرآن

ومنهم : شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى فى القرن

---

(١) سورة البلد الآية ١ .

(٢) سورة التين الآية ٣ .

(٣) الاتقان جـ٢ ص ٣٠

التاسع الهجرى ، وقد تناوله مع أنواع أخرى من علوم القرآن فى كتابه « الاتقان فى علوم القرآن » .

ومنهم : العالم العلامة الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى فى مؤلفه المعروف « دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب » .

وغير هؤلاء علماء آخرون بذلوا جهدا مشكورا فى هذا المجال ، فجزى الله الجميع خيراً ، وأثابهم بقدر إخلاصهم فيه ، وحسن مقصدهم منه .

وها أنا أقوم بجهد متواضع فى هذا المجال وأعرض على القارىء الكريم ماتيسر لى من أوجه الجمع بين الآيات التى يتوهم التعارض بينها فى القرآن الكريم مراعيا فى الجمع بين الآيات ترتيب سورها بحسب النزول ، وذاكراً التوفيق بينها عند موضع الأسبق نزولا منها .

وأرجو أن يتوفر لعملى هذا من صدق النية ، وجميل الإخلاص مايعرضنى لرضا الله تعالى على ، ومايجعلنى أهلا لتقبله منى بقبول حسن ، ومثوبتى عليه ، وما يشفع لى فى أى خطأ فيه ، أو قصور غير مقصود .

وإن أكن قد وفقت فيما قصدت إليه ورجوته فذلك من الله تعالى وما التوفيق إلا من عند الله ، وإلا فما أردت إلا الخير ، وبيان الحق وأسأل ربى سبحانه العفو الكريم ، والصفح الجميل ، وأن لايحرمنى من الأجر لقاء إخلاصى فيه ، وحسن مقصدى منه ، والله سبحانه وتعالى خير مأمول وأكرم مسئول ، وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

المؤلف

الفصل الأول

الأسباب الموهمة للاختلاف

ذكر بعض العلماء [1] أموراً سببت الوهم بأن بين آيات من القرآن اختلافا وتعارضا ، وها هى أسباب الاختلاف ، وأمثلة من الآيات التى تدخل تحت كل سبب منها .

وبعضها نعيد ذكرها ، والتوفيق بينها — فيما سيأتى — بتفصيل أكثر حيث يتطلب الأمر مزيد التوضيح ، وبعضها نكتفى بالتوفيق بينها هنا — فى أسباب الاختلاف — إن لم يكن هناك حاجة إلى تفصيل لها أكثر .

أولها : وقوع المخبر به على أحوال مختلفة ، وأطوار شتى .

كخلق آدم عليه السلام الذى أخبرت الآيات أنه من طين ، ومن حمأ مسنون ، ومن طين لازب ، ومن تراب ، ومن صلصال كالفخار فى قوله تعالى « إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين »[2] وقوله تعالى « وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون »[3]

---

(١) كالإمام بدر الدين الزركشى فى كتابه البرهان فى علوم القرآن .

(٢) سورة ص الآية ٧١ .

(٣) سورة الحجر الآية ٢٧ .

والصلصال كما قال أبو عبيدة : هو الطين المخلوط بالرمل الذى يتصلصل إذا حرك والحمأ . الطين الأسود المتغير ، أو الطين الأسود من غير تقييد بالمتغير والمسنون . قال الفراء : المتغير ، ومنه قوله «لم يتسنه» وقوله «غير آسن» .

وقوله « إنا خلقناهم من طين لازب »[١] وقوله « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »[٢] وقوله « خلق الإنسان من صلصال كالفخار »[٣] وليس بين هذه الآيات تعارض .

فان المادة التى خلق منها آدم عليه السلام واحدة مرت بمراحل متعددة و كل آية تتحدث عن مرحلة منها .

هذه المادة : تسمى ترابا ، وذلك قبل أن يخلط بالماء ، وتسمى طينا بعد الخلط بالماء وطينا لازبا إذا صار لاصقا ، أو لازما ، وحمأ مسنونا إذا اسود وتغير ، وصلصالا إذا يبس ، فصارت له صلصلة[٤] فإذا جف أكثر شبه بالفخار الذى يطبخ فى النار .

الثانى : اختلاف الموضوع

فقد ورد فى القرآن الكريم آيات دالة على أن الناس و يُسألون يوم القيامة كقوله تعالى « فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين »[٥] وقوله تعالى » فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون »[٦]

---

(١) سورة الصفات الآية ١١ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٥٩ .
(٣) سورة الرحمن الآية ١٤ .
(٤) صلصلة أى صوت إذا حرك ، أو ضرب عليه .
(٥) سورة الأعراف الآية ٦ .
(٦) سورة الحجر الآيتان ٩٢ ، ٩٣ .

وآيات أخرى دلت على عدم السؤال كقوله تعالى : ﴿ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون[١] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان[٢] ﴾ والتوفيق بينها بواحد من ثلاثة وجوه :

الأول : أن المثبت هو سؤال التوبيخ والتقريع : والمنفى هو سؤال الاستعلام .

الثاني : أن المثبت هو السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل ، والمنفى هو عن شرائع الدين وفروعه .

الثالث : اختلاف المواطن يوم القيامة ، ففى بعضها يسألون ، وفى بعضها لا يسألون .

وتوضيح ذلك سيأتى عند الكلام عن سورة الأعراف .

ومنه : مايدل على أن الله تعالى لا يكلم الكفار يوم القيامة كقوله تعالى : ﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة[٣] ﴾ مع ماجاء من آيات أخرى دالة على أنه تعالى يكلمهم كقوله تعالى ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين . عما كانوا يعملون ﴾ والسؤال كلام ، وقوله حكاية عن الكفار ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . قال اخسأوا فيها ولا تكلمون[٤] ﴾ .

والجواب عن هذا بواحد من اثنين

الأول : أن الكلام المنفى هو كلام التلطف والرحمة ، والمثبت هو

---

(١) سورة القصص الآية ٧٨ .

(٢) سورة الرحمن الآية ٣٩ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٤ .

(٤) سورة المؤمنون الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨ .

سؤال التوبيخ وكلام الإهانة ، ونقل الجمل عن كرخى قوله :

إن المراد من الآية أنه تعالى لا يكلمهم بتحية وسلام وخير ، وإنما يكلمهم بما تعظم به الحسرة والغم عند المناقشة والمساءلة كقوله : ﴿ اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾ وإنما كان عدم تكليمهم فى معرض التهديد ، لأن يوم القيامة هو اليوم الذى يكلم الله تعالى فيه كل الخلائق بلا واسطة ، فظهر عند كلامه السرور فى أوليائه ، وضده فى أعدائه[١] .

الثانى : أن الله تعالى لا يكلم الكفار يوم القيامة أصلا ، وإنما تكلمهم الملائكة بإذنه تعالى وأمره .

ومنه أيضاً :

ماجاء من الآيات دالا على أن السيئة الواحدة جزاؤها سيئة مثلها كقوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها[٢] ﴾ .

مع ماجاء من الآيات دالا على أن المعصية يضاعف العذاب عليها كقوله تعالى : ﴿ يضاعف لهم العذاب[٣] ﴾ .

فيوهم ذلك التنافى ، والحقيقة أنه لاتنافى ، وأن السيئة يجزى عليها بسيئة واحدة مثلها ، وأن التضعيف فى جانب السيئة ليس على غرار التضعيف فى جانب الحسنة ، بل هو راجع لتضاعيف ما ارتكبه الكفار من السيئات والقبائح فكان لكل واحدة منها عذاب يخصه ، وتكثير العذاب راجع لكثرة ما ارتكب لا أن السيئة الواحدة يضاعف الجزاء عليها .

---

(١) تفسير الجمل جـ ١ ص ١٣٩ . (٢) سورة الشورى الآية ٤٠ .
(٣) سورة هود الآية ٢٠ .

يدل على ذلك الآيتان قبلها وهما .

﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون[١] ﴾

فهؤلاء كذبوا على ربهم ، وصدوا عن سبيله ، وبغوها عوجا ، وكفروا فهذه مرتكبات عذبوا بكل واحد منها .

ومنه أيضا : ماجاء من الآيات دالا على أن الكفار يوم القيامة لا ينطقون ولا يؤذن لهم فى الاعتذار ، مع مجىء آيات غيرها تفيد أنهم ينطقون ، وينكرون أحياناً ماوقع منهم فى الدنيا ، وأحيانا يختصمون ، وأحياناً يعتذرون ولا يقبل اعتذارهم .

والتوفيق بين هذه الآيات يحتاج إلى تفصيل كثير سيأتى عند الكلام عن سورة المرسلات .

ومنه : ما أفاده قوله تعالى :

﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها[٢] ﴾ من أن كسب كل نفس عليها ، مع أن آية ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت[٣] ﴾ واضحة فى التفريق بين الكسب والاكتساب فالكسب لها والاكتساب عليها ، ومعنى الآية : لها ما كسبت من الخير أى ثوابه وعليها ما اكتسبت من الشر أى وزره .

---

(١) سورة هود الآيتان ١٨ ، ١٩ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

والدليل على أن الأول فى الخير والثانى فى الشر اللام فى الأول ، و « على » فى الثانى ، لأن اللام للخير ، وعلى ، للمضرة .

ولا ينقض هذا بقوله تعالى « ولهم اللعنة » وقوله « عليهم صلوات من ربهم ورحمة » لأنهما يقتضيان ذلك عند الإطلاق ، بدون ذكر الحسنة والسيئة .

أو : أنهما يستعملان لذلك عند تقارنهما كما فى هذه الآية ، وكما فى قوله : (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) .

والجواب : أن كل نفس لها ما كسبت من الخير ، وعليها ما اكتسبت من الشر كما أفاد ذلك آية البقرة ، ويكون قد ذكر فيها الأمران .

وأما آية الأنعام فالمراد بها لا تكسب شراً ولا إثماً إلا عليها بدليل سبب النزول الذى ساقه القرطبى بقوله :

روى أن الكفار قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : ارجع يا محمد إلى ديننا واعبد آلهتنا ، واترك ما أنت عليه ، ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها فى دنياك وآخرتك ، فنزلت الآية[1] .

أو : أن تكسب ضمن معنى تجنى .

ويكون قد اقتصر فى آية الأنعام على ذكر الشر فقط .

ولهذا لما ذكر القسمين فى آية البقرة ذكر ما يميز أحدهما عن الآخر . وفى آية الأنعام لما كان المراد أحدهما — وهو الشر — اقتصر عليه بـ « فعل » ولم يأت بـ « افتعل » .

---

(١) تفسير القرطبى ص ٥٢٩٢ .

ومنه مايفهم من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ [١] من التشديد البالغ فى تقوى الله حيث أمر فيها بالتقوى التى تحق له سبحانه مع مايفيده قوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم [٢] ﴾ من الأمر بتقوى الله تعالى بحسب طاقتهم ، وما بلغ إليه جهدهم وقد جمع بين الآيتين على النحو التالى :

أولا : أن آية : « اتقوا الله حق تقاته » فى خصوص التوحيد ، وآية « فاتقوا الله ما استطعتم » فى الأعمال .

قال بدر الدين الزركشى : يحكى عن الشيخ العارف أبى الحسن الشاذلى رحمه الله أنه جمع بينهما ، فحمل الآية الأولى على التوحيد ، والثانية على الأعمال والمقام يقتضى ذلك ، لأنه قال بعد الأولى « ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون [٣] » .

ثانياً : أن حق التقوى المأمور به فى آية « حق تقاته » أن يطاع — سبحانه — فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .

وقد روى هذا ابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم ورواه الحاكم أيضا فى مستدركه عن ابن مسعود مرفوعا أيضا ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ورواه ابن أبى حاتم موقوفاً على ابن مسعود .

وقال ابن كثير : والأظهر أنه موقوف [٤] .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢ .

(٢) سورة التغابن الآية ١٦ . (٣) البرهان جـ ٢ ص ٥٧ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٧١ ، ٧٢ طبعة دار الشعب .

وأن آية ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ ناسخة لها ، لما شق الأمر على الصحابة .

قال القرطبي : وذكر المفسرون : أنه لما نزلت هذه الآية قالوا : يارسول الله من يقوى على هذا ، وشق عليهم ، فأنزل الله عز وجل : «فاتقوا الله ما استطعتم» ونسخت هذه الآية ، عن قتادة والربيع وابن زيد .

قال مقاتل : وليس في آل عمران من المنسوخ شيء إلا هذه الآية .

ثالثها : إن قوله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » بيان لهذه الآية « حق تقاته » والمعنى : فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم .

قال القرطبي : وهذا أصوب ، لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع ، والجمع ممكن فهو أولى ، وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : قول الله « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » لم تنسخ ولكن « حق تقاته » أن يجاهد في الله حق جهاده ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم ، وتقوموا بالقسط ولو على أنفسكم وأبنائكم[1] .

ومنه أيضا : ما جاء من الآيات دالا على أن العدل بين الزوجات ممكن كقوله تعالى : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة[2] » .

مع ما أفاد أنه غير ممكن ، وهو قوله تعالى « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم[3] » .

والتوفيق بينهما بواحد من اثنين .

---

(١) تفسير القرطبي ص ١٣٩٩ — ١٤٠٠ هـ طبعة دار الشعب .

(٢) سورة النساء الآية ٣ .

(٣) سورة النساء الآية ١٢٩ .